مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (٢)
الإصدار الثاني والثلاثون
(١-١٧) ٢٠٢٦

أقسام التَّوحيد عند الصوفيّة والرَّافضة من خلال تفسيرَيْ "الأمثل" و"البحر المديد"

الدكتور. عبد الفتاح فتحي حمودة
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الدعوة الإسلامية، غزة، فلسطين.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ فبراير ٢٠٢٦م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

يتناول البحث موقف كلٍّ من الرافضة والصوفية من تقسيم التوحيد، وموقفهم من تقسيم أهل السنة والجماعة، والمتمثل في تقسيم التوحيد إلى: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ويهدف البحث إلى أهداف متعددة، منها: بيان تقسيم التوحيد عند الرافضة من خلال تفسير الشيرازي، الموسوم بـــ "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل"، وبيان تقسيم التوحيد عند الصوفية من خلال تفسير ابن عَجيبة، الموسوم بـــ "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ورصْد موقف الرافضة والصوفية، وتحديداً لدى الشيرازي وابن عَجيبة من تقسيمات أهل السنة والجماعة، وموقفهم من الصفات الإلهية بشكل عام.

وتتكون الدراسة من مبحثيْن، تحدث الباحث في المبحث الأول عن تعريف الرافضة، وأهم ملامح العقيدة والمنهج عندهم، بالإضافة إلى تقسيم التوحيد عندهم، وذلك من خلال تفسير "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل"، لصاحبه: ناصر محمد الشيرازي، بينما تحدث المبحث الثاني عن التعريف بالصوفية، وأهم ملامح العقيدة والمنهج عندهم، بالإضافة إلى تقسيم التوحيد عندهم، وذلك من خلال تفسير "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، لصاحبه: أحمد بن محمد بن المهدي بن عَجيبة.

ولقد كان من أهم نتائج الدراسة: أن الشيرازي يقسّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة، كما يقسّم توحيد العبادة إلى ستة أقسام، وهي: توحيد الخالقية، وتوحيد الربوبية، والتوحيد في التقنين والتشريع، والتوحيد في المالكية، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد الطاعة، بينما يقسّم ابن عَجيبة التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات، الشيرازي، ابن عَجيبة، الأمثل، البحر المديد.

Abstract

The research addresses the stance of both the Rafidah and the Sufis on the division of monotheism, and their stance on the division of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah, which is represented in the division of monotheism into: monotheism of lordship, monotheism of divinity, and monotheism of names and attributes.

The study consists of two sections. In the first section, the researcher discussed the definition of the Rafidah, the main features of their creed and methodology, as well as their division of monotheism, based on the interpretation 'Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah Al-Munzal' by its author Nasser Muhammad Al-Shirazi. The second section dealt with the introduction to Sufism, the main features of their creed and methodology, as well as their division of monotheism, based on the interpretation 'Al-Bahr Al-Madid fi Tafsir Al-Qur'an Al-Majid' by its author Ahmad ibn Muhammad ibn Al-Mahdi ibn Ajiba.

One of the most important results of the study was that Al-Shirazi divides monotheism into three categories: monotheism of essence, monotheism of attributes, monotheism of actions, and monotheism of worship. He also divides the monotheism of worship into six categories: monotheism in creation, monotheism in lordship, monotheism in legislation, monotheism in ownership, monotheism in governance, and monotheism in obedience. Meanwhile, Ibn Ajiba divides monotheism into three categories: monotheism of the general, monotheism of the special, and monotheism of the most special.

Keywords: Monotheism, Lordship, Divinity, Names and Attributes, Al-Shirazi, Ibn Ajiba, Al-Amthal, Al-Bahr Al-Madeed.

*** المقدمة**

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس وأمرهم بالعبادة، وتحقيق التوحيد الخالص، قال تعالى: [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ] {محمد:١٩}، فهو أمْرٌ واضح من الله تعالى لنبيّه

صلى الله عليه وسلم بتحقيق التوحيد، والعلم بالشهادتين، وذلك بشكل خالص، لا يقبل الشرك وشوائبه.

إن التوحيد الصحيح هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو التوحيد الذي يثبت لله تعالى كمال ربوبيته، وكمال ألوهيته، وكمال أسمائه وصفاته، وذلك حسب ما جاء به القرآن الكريم، وجاءتْ به السنة النبوية، ومنه اصطلح أهل السنة والجماعة على تقسيم التوحيد تقسيمًا مبنيًّا على تلك المعطيات الشرعية، دون تجزئة التوحيد نفسه.

وقد اختلف الناس في تقسيم التوحيد، فلئن قسّم أهل السنة والجماعة التوحيد إلى أقسام واضحة مبنيّة على الأصول الشرعية، فإن غيرهم قسّموا التوحيد تقسيمات لا دليل شرعي عليها، فكان من ذلك تقسيم الرافضة، وتقسيم الصوفية؛ ولأجل ذلك يأتي هذا البحث لبيان تشعُّب الرافضة والصوفية في تقسيم التوحيد؛ بناءً على اختلاف عقائدهم، وأفكارهم، وقد سمّيته: "أقسام التَّوحيد عند الصوفية والرافضة من خلال كتابيْ "الأمثل" و"البحر المديد"".

أولًا: أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية: –

١– يتناول هذا البحث دراسة تقسيمات التوحيد عند الرافضة والصوفية، موضِّحًا العلاقة بين تلك التقسيمات، وأثرها العقدي.

٢– تحرير الأبعاد الفكرية لموقف الرافضة والصوفية من تقسيم التوحيد، انطلاقًا من عقائدهم وأفكارهم، بالمقارنة مع تقسيم أهل السنة والجماعة.

٣– تبصير المسلمين بالمخالفات العقدية التي وقع فيها الناس من غير أهل السنة والجماعة، حيث كان الحيْد واضحًا عن منهج السلف في تقرير أصول العقيدة عامة، وفي تقسيم التوحيد خاصة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

إن من أهم الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع للبحث ما يأتي: –

١– الأهمية الكبيرة للموضوعات الفكرية العقدية التي تتناول قضايا التوحيد والعقيدة، وعلى رأسها الموقف من تقسيم التوحيد، وأصوله، وأركانه.

٢– بيان الفروقات الفكرية بين تقسيم التوحيد عند الرافضة والصوفية بالمقارنة مع أهل السنة والجماعة؛ وذلك مما يُظهر الانحراف الفكري لدى تلك الفِرق.

٣– تبصير المسلمين بعقيدتهم، والعمل على ازدياد الباحثين والعلماء ثقة وإيمانا بصحة منهجهم، وصواب طريقتهم، وذلك من خلال إبراز مبادئ التوحيد الصحيح، وبيان مدى الضلال والانحراف الذي مُني به من حاد عن منهج الله القويم؛ فتقسيم التوحيد فرع عن تصوره.

ثالثًا: مشكلة البحث وأسئلته

تتمثل مشكلة البحث في أنه يعالج مجموعة من الأسئلة، بحيث يتم استكشافها، والتعمق في دراستها، وهي:–

١– منْ هم الرافضة؟

٢– ما أقسام التوحيد عند الرافضة من خلال تفسير "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل"؟

٣– منْ هم الصوفية؟

٤- ما أقسام التوحيد عند الصوفية من خلال تفسير "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"؟

رابعًا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى: -

١- التعرف على الرافضة، ومجمل عقائدهم، ومنهجهم في العقيدة بشكل عام.

٢- بيان تقسيم التوحيد عند الرافضة من خلال تفسير الشيرازي، الموسوم بـــ "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل".

٣- التعرف على الصوفية، ومجمل عقائدهم، ومنهجهم في العقيدة بشكل عام.

٤- بيان تقسيم التوحيد عند الصوفية من خلال تفسير ابن عَجيبة، الموسوم بـــ "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد".

٥- رصْد موقف الرافضة والصوفية، وتحديدًا لدى الشيرازي وابن عَجيبة من تقسيمات أهل السنة والجماعة، وموقفهم من الصفات الإلهية بشكل عام.

خامسًا: منهج البحث

هناك مناهج مختلفة ومتعددة في البحوث العلمية، ولكل منهج خاصية يتميز بها عن غيره، وفي هذه البحث تم استخدام المنهج الوصفي، الذي يقوم بدراسة الظاهرة، ومفهومها، وأسسها، بعد جمْع المعلومات وتتبعها، لتكون أساسًا لتفسيرها، وتوجيهها.

كما استخدم الباحث المنهج المقارن، والذي يعتمد على بيان موقف الرافضة والصوفية عند الشيرازي وابن عَجيبة في تفسيريْهما، والمقارنة بينهما، وذلك بالمقارنة مع تقسيم أهل السنة والجماعة.

سادسًا: الدراسات السابقة وما يميز هذه الدراسة عن غيرها

من خلال البحث عن رسائل علمية كُتبت في تقسيمات التوحيد عبْر محرِّكات البحث، والمكتبات الالكترونية، فلم يجد الباحث أي دراسة علمية، أو بحث علمي قد كُتب في هذا الموضوع، إفرادًا وبيانًا، وإنما هو موجود ضمن ثنايا الكتب، وخاصة: التفاسير، وضمن الآيات التي تتحدث في الجوانب العقدية، فهذا البحث فيه جمع شتات الموضوع بالإيضاح والتفصيل بعون الله تعالى، بحيث يتناول الحديث عن موقف الشيرازي وابن عجيبة من تقسيم التوحيد في تفسيريْهما.

*** أقسام التوحيد عند الرافضة من خلال تفسير "الأمثل"**

لجأت الرافضة إلى تقسيم التوحيد تقسيمًا يتوافق مع منهجهم الفكري بشكل عام، وهذا المبحث يتناول الحديث عن تعريف الرافضة، ومجمل عقائدهم، ومصادرهم في التلقّي، وتقسيم التوحيد كما في تفسير "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل".

*** التعريف بالرافضة**

الرافضة: هي تلك الطائفة من الشيعة التي تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة، بمن فيهم الشيخان {، على أن هذه الإمامة ركنٌ من أركان الدين، بنص النبي ﷺ، وأن الأنبياء والأئمة معصومون، ويشمل- أيضًا- كل من يقول بالبداء، والتقيّة، والرجعة، والغيبة[1]، وهم واحدة من

(١) انظر: الجهني، مانع بن حماد، (إشراف وتخطيط ومراجعة)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (١٠٥٩/٢)، ط(٤) ١٤٢٠هـ، نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض. وانظر: عواجي، غالب، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (٣٤٤/١)، ط(٤) ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة.

طوائف أهل البدع والضلالة؛ سُمّوا بذلك لكونهم رفضوا أبا بكر وعمر، وأبغضوهما، وسائر الصحابة، كما رفضوا زيد بن علي[٢] لما تولّى الشيخين أبابكر وعمر، وهم الذين يُعرفون اليوم بالشيعة، والإمامية، والاثني عشرية، والجعفرية، حيث يعتقدون بإمامة اثني عشر إمامًا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصولهم أربعة: التوحيد، ويعنون به نفي الصفات، والعدل ويقصدون به نفي القدر، والنبوة، والإمامة، ويغلب عليهم الغلو في أئمتهم، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله تعالى وهم فِرق شتى[٣]، قال ابن تيمية: "وأصْل الرفض من المنافقين الزنادقة؛ فإنه ابتدعه ابن سبأ[٤] الزنديق، وأظهر الغلو في علي ﷺ بدعوى الإمامة والنصّ عليه، وادّعى العصمة له؛ ولهذا لما كان مبدؤه من النفاق، قال بعض السلف: "حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق وحب بني هاشم إيمان وبغضهم نفاق""[٥].

ويتواجد الرافضة بشكل أساسي في إيران، ولهم تواجد كبير في العراق، ولبنان، والبحرين، ويُشكلون أقليّة في بعض البلدان، كالسعودية، والكويت، ودعوتهم نشطة في بلدان أوربا، وبعض بلدان المغرب العربي[٦].

وفي أثرهم في العالم الإسلامي تبيّن أن لهم آثارهم الفكرية الخطيرة في إحداث الشرك في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والصدّ عن دين الله، وظهور فرق الزندقة والإلحاد، ومحاولة إضلال المسلمين في سنة نبيّهم، والتأثير السلبي في الأدب والتاريخ، وعلى بعض المفكرين المنتسبين للسنة، ولهم وسائل في الإضلال ظاهرة وخفية، كما أن لهم أثرًا في المجال الاجتماعي في إثارة الفتن الداخلية بين المسلمين، وفي الاعتداء والاغتيالات للقيادات الإسلامية، ولعموم المسلمين، إذا حانت لهم فرصة في ذلك، وفي إشاعة الفاحشة ونشر الإباحية عن طريق ما يسمونه بالمتعة الدورية وغيرها[٧].

*** مجمل أصول الاعتقاد عند الرافضة**

يعتقد الشيعة الإمامية بالتقيّة، ويقولون: من لا تقيّة له لا دين له، وهو في الحقيقة الكذب والنفاق، كما أن الإمامة عندهم أخت النبوة، والمكذِّب بالإمامة كالمكذِّب بالنبوة، ولازم هذا القول أن أهل السنة كلهم كفار في عقيدة الرافضة؛ لأنهم لا يؤمنون بالإمامة التي يؤمن بها الرافضة، كما يعتقدون بالبداء على الله تعالى، حتى إذا ما أخبر أئمتهم المعصومون بغيب ثم ظهر خلاف ذلك قالوا: بدا لله فيه، ويعتقدون أن

(٢) هو: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلويّ الهاشمي القرشي، كان فقيهًا، مقيمًا بالكوفة، وإليه تُنسب الطائفة الزيدية. توفي عام ١٢٢هـ. انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (٣٨٩/٥-٣٩١)، ط(٣)١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) انظر: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (٦٥/١-١٤٠)، مكتبة النهضة المصرية. وانظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (١٤٦/١-١٩٠)، دار المعرفة، بيروت. وانظر: البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ص: ٢٩-٧٢)، دار المعرفة، بيروت.

(٤) هو: عبد الله بن سبإ، اليهودي المتظاهر بالإسلام، المنسوب إلى اليمن، من غلاة الزنادقة، وزعيم الطائفة السبئية، التي تعتقد بألوهية علي ﷺ، ورجْعة النبي صلى الله عليه وسلم، توفي نحو عام ٤٠هـ. انظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، (١/ ١٧٤).

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (٤/ ٤٣٥)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٦) انظر: الإدريسي، حامد مسوحلي، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية، (ص: ١٥)، ط(١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الناشر: مكتبة الرضوان، مصر.

(٧) انظر: القفاري، ناصر، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، (٣/ ١٢٨٦)، ط(١)١٤١٤هـ.

الصحابة ﷺ كلهم كفار ما عدا أربعة أو ستة، ولا فرْق في هذا المعتقد بين القدماء منهم والمعاصرين[٨]، وفي اعتقادهم في أصول الدين ظهر أنهم جهمية في نفْي الصفات، وقدرية في نفي القدر، ومرجئة في قولهم بأن الإيمان معرفة الإمام وحبه، ووعيديه بالنسبة لغيرهم، حيث يكفِّرون ما عدا طائفتهم، كما أنهم يشركون بالله سبحانه في ربوبيته وألوهيته في مسائل عديدة، وفي اعتقادهم بالكتب والرسل كان من أقوالهم فيها أن الأئمة نزلت عليهم كتب إلهية، وعندهم كتب الأنبياء يقرؤونها ويحكُمون بها، ولهم معجزات كالرسل؛ بل هم أفضل من الرسل، وبهم تقوم الحجة على العباد، وفي الإيمان باليوم الآخر قالوا: إن الآخرة للإمام، وأن الجنة مهر فاطمة، وأن الأئمة يأكلون من الجنة في الدنيا، وأن حساب الخلق إلى الأئمة يوم القيامة، وأن هناك جنة ونار يصير إليها الأموات غير الجنة والنار التي يؤمن بها المسلمون، وأن لقُمّ[٩] باباً إلى الجنة وأهل قُمّ لا يحشرون كسائر الناس، ولهم عقائد أخرى تفرّدوا بها أيضًا عن المسلمين وهي إمامة الاثني عشر وعصمتهم، والتقية، والمهدية، والغيبة، والرجعة، والظهور، والطينة والبداء[١٠].

*** منهج الرافضة في العقيدة**

سار الشيعة للاستدلال على شذوذهم في كل اتجاه، فمرّة يزعمون أن ما يدل على مذهبهم من آيات في القرآن قد حذفها الصحابة، وتارة يلجؤون إلى تأويلات باطنية ما أنزل الله بها من سلطان، وحينًا يزعمون أنه نزل كتب إلهية على الأئمة للدلالة على مذهبهم، وأحيانًا يتعلّقون بروايات من طرق أهل السنة وهي إما كذب، أو لا تدل على ما يزعمون، ولهم وسائل ماكرة في هذا الاتجاه لا تدري اليهود بعُشرها، وهذا كله إنما يدل على عجز هذه الطائفة عن إثبات مذهبها بأصول شرعية[١١].

وأما بالنسبة إلى مصادر التشريع عند الرافضة فليست هي التي عند أهل السنة، وأما القرآن فإن النصوص المتواترة عندهم في كتبهم صريحة في أنه ناقص ومحرف، ومن قال منهم تقيّة إنه كامل أوله بما يوافق هواه، وأما الأحاديث فإنهم لا يعترفون بأصحّها عند أهل السنة، وأما الإجماع فإنه لا عبرة به عندهم، إلا إنْ وُجد فيه معصوم، فمدار الحجية عندهم على المعصوم – بزعمهم– لا على الإجماع، وأما القياس فغير قائلين به[١٢].

*** تقسيم التوحيد في تفسير "الأمثل"**

من خلال استعراض كتب التفسير عند الرافضة: وجد الباحث أن الرافضة يقسّمون التوحيد إلى أقسام مغايرة لما عليه أهل السنة، حيث يقول ناصر الشيرازي[١٣] في تفسير سورة الفاتحة: "إنّها تتضمّن في الواقع توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة"[١٤]، ويفصِّل عند

(٨) انظر: الألوسي، محمود شكري، صب العذاب على من سب الأصحاب، دراسة وتحقيق: عبد الله البخاري، (ص: ٥٣٥-٥٣٦)، ط(١)١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الناشر: أضواء السلف، الرياض.
(٩) هي: مدينة إسلامية، لا أثر للعجم فيها، وهى بين أصفهان وساوة، وأهلها كلّهم شيعة إمامية، وبين قمّ وساوة اثنا عشر فرسخا، وبينها وبين قاشان مثل ذلك. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (٤/ ٣٩٧)، ط(٢)١٩٩٥م، الناشر: دار صادر، بيروت.
(١٠) انظر: القفاري، ناصر، (٣/ ١٢٨٤).
(١١) انظر: القفاري، ناصر، (٣/ ١٢٧٩).
(١٢) انظر: الألوسي، محمود شكري، (ص: ٥٣٤-٥٣٥).
(١٣) هو: ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مَكَارم الشيرازي، مرجع شيعي إيراني معاصر، وُلد في عام ١٩٢٧م، كان له دور فعّال في الثورة الإسلامية الإيرانية، فتعرض للنفي إلى عدد من المدن النائية، وكذلك يعد اليوم من أبرز القيادات الدينية في إيران. انظر: موقع ويكيبيديا https://n9.cl/weza4.
(١٤) الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (٣٨/١)، ط(١)١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

تفسير سورة الإخلاص، فيقول: "فروع دوحة التوحيد، نذكر للتوحيد عادة أربعة فروع:

أولًا: توحيد الذات: ويعني: أن الله تعالى غير مركّب من ماهية ووجود؛ لأنّ التركيب من الماهية والوجود فرع لمحدودية الموجود، بينما وجوده سبحانه غير محدود، والتركيب من الجنس والفصل فرع من أن يكون للموجود ماهية، وما لا ماهية له، ليس له جنس ولا فصل.

ثانيًا: توحيد الصفات: أي أنّ صفاته لا تنفصل عن ذاته، ولا تنفصل عن بعضها، على سبيل المثال: العلم والقدرة في الإنسان عارضان على ذاته، ذاته شيء، وعلمه وقدرته شيء آخر، كما أنّ علمه وقدرته منفصلان عن بعضهما، مركز العلم روح الإنسان، ومركز قدرته الجسمية ذراعه وعضلاته، لكن صفات اللّه ليست زائدة على ذاته، وليست منفصلة عن بعضها؛ بل هو وجود كله علم، وكله قدرة، وكله أزلية وأبدية، ولو لم يكن ذلك لاستلزم التركيب، وإن كان مركبًا لاحتاج إلى الأجزاء، والمحتاج لا يكون واجبًا للوجود.

ثالثًا: التوحيد الأفعالي: ويعني أن كل وجود، وكل حركة، وكل فعل في العالم يعود إلى ذاته المقدّسة، فهو مسبب الأسباب وعلة العلل، حتى الأفعال التي تصدر منّا هي في أحد المعاني صادرة عنه؛ فهو الذي منحنا القدرة والاختيار وحرية الإرادة، ومع أنّنا نفعل الأفعال بأنفسنا، وأنّنا مسئولون تجاهها، فالفاعل من جهة هو اللّه سبحانه؛ لأن كل ما عندنا يعود إليه: (لا مؤثر في الوجود إلا اللّه).

رابعًا: التوحيد في العبادة: أي تجب عبادته وحده دون سواه، ولا يستحق العبادة غيره؛ لأن العبادة يجب أن تكون لمن هو كمال مطلق، ومطلق الكمال، لمن هو غني عن الآخرين، ولمن هو واهب النعم وخالق كلّ الموجودات، وهذه صفات لا تجتمع إلاّ في ذات اللّه –سبحانه–، والهدف الأصلي للعبادة هو: الاقتراب من ذلك الكمال المطلق، والوجود اللامتناهي هو: السعي لإنارة النفس بقبس من صفات كماله وجماله... وينتج عن ذلك الابتعاد عن الأهواء والشهوات والاتجاه نحو بناء النفس وتهذيبها، وتوحيد الأفعال له فروع كثيرة نشير إلى ستة من أهمها: –

١– توحيد الخالقية: والقرآن الكريم يقول: [قُلِ اللهُ خَالِقُ] {الرعد:١٦}، ودليله واضح، فحين ثبت بالأدلة السابقة أنّ واجب الوجود واحد، وكلّ ما عداه ممكن الوجود، يترتب على ذلك أنّ خالق كلّ الموجودات واحد أيضًا.

٢– توحيد الربوبية: أي: أن اللّه وحده هو مدبر العالم ومربيه ومنظمه، كما جاء في قوله تعالى: [قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ] {الأنعام:١٦٤}، دليل ذلك أيضًا وحدة واجب الوجود، وتوحيد الخالق في عالم الكون.

٣– التوحيد في التقنين والتشريع: يقول سبحانه: [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ] {المائدة:٤٤}، لما ثبت أنّه – سبحانه– هو المدير والمدبر، فليس لأحد غيره حتمًا صلاحية التقنين؛ إذ لا سهم لغيره في تدبير العالم كي يستطيع أن يضع قوانين منسجمة مع نظام التكوين.

٤– التوحيد في المالكية: سواء: الملكية الحقيقية، أي: السلطة التكوينية على الشيء، أم الملكية الحقوقية، وهي: السلطة القانونية على الشيء، فهي له – سبحانه–، كما يقول في كتابه العزيز: [وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] {آل

عمران:١٨٩}، ويقول سبحانه: [وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] {الحديد:٧}.

٥- توحيد الحاكمية: لابدّ للمجتمع البشري من حكومة؛ لأنّ الحياة الاجتماعية تتطلب ذلك، فلا يمكن بدون حكومة أن تقسم المسؤوليات، وتنظم المشاريع، ويحال دون التعدي والتجاوز، ومن جهة أخرى: مبدأ الحرية يقرر أن لا أحد له حق الحكومة على أحد، إلا إذا سمح بذلك المالك الأصلي والصاحب الحقيقي، من هنا فالإسلام يرفض كلّ حكومة لا تنتهي إلى الحكومة الإلهية، ومن هنا -أيضًا- نرى شرعية الحكم للنّبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، وللأئمّة المعصومين-عليهم السلام- ثمّ للفقيه الجامع للشرائط بعدهم، ومن الممكن أن يجيز النّاس أحدًا ليحكمهم، ولكنّ اتفاق النّاس بأجمعهم غير ممكن في مجتمع عادة؛ ولذلك لا يمكن إقامة مثل هذه الحكومة عمليًّا،

جدير بالذكر أن توحيد الربوبية يرتبط بعالم التكوين، وتوحيد التقنين يرتبط بعالم التشريع، يقول سبحانه: [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ] {الأنعام:٥٧}.

٦- توحيد الطاعة: اللّه – سبحانه- هو وحده واجب الإطاعة في هذا الكون، وهو – تعالى- مصدر مشروعية إطاعة غيره، أي أنّ إطاعة غيره يجب أن تعدّ إطاعة له، دليل ذلك واضح أيضًا، حين تكون الحاكمية له دون سواه فيجب أن يكون هو المطاع دون غيره؛ ولذلك نحن نعتبر إطاعتنا للأنبياء-عليهم السلام-، والأئمّة المعصومين، ومن ينوب عنهم هي انعكاس عن طاعتنا للّه، يقول تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ] {النساء:٥٩}، ويقول سبحانه: [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ] {النساء:٨٠}"[١٥].

ولكن: يؤخذ على الرافضة أنهم تلبسّوا انحرافات كبيرة في هذه الأقسام، فمن أبرز مظاهر انحرافاتهم في توحيد الربوبية: -

١- اعتقادهم الرب هو الإمام.

٢- اعتقادهم بأن الدنيا والآخرة بيد الإمام.

٣- إسنادهم الحوادث الكونية لأئمتهم.

٤- اعتقادهم بن عليًّا يركب السحاب.

٥- اعتقادهم أن أئمتهم يعلمون الغيب.

٦- اعتقادهم بأن أئمتهم يتزل عليهم الوحي.

٧- اعتقادهم بأن جـــزءًا من النور الإلهـــي حلّ في علي ﷺ.

٨- اعتقادهم بأن الأعمال تُعرض على الأئمة.

ومن أبرز مظاهر انحرافاتهم في توحيد الألوهية: -

١- اعتقادهم بأن أئمتهم الواسطة بين الله وبين خلقه.

٢- استغاثتهم بقبور أئمتهم.

٣- اعتقادهم بأن أئمتهم لهم حق التحليل والتحريم في شرع الله تعالى.

٤- عبادتهم لقبور أئمتهم والذبح والنذر عندها.

٥- اعتقادهم بأن قبر الحسين شفاء من كل داء.

٦- اعتقادهم بأن زيارة قبور أئمتهم أعظم من الحج.

ومن أبرز مظاهر انحرافاتهم في توحيد الأسماء والصفات: -

١- نفيهم لصفات الله تعالى.

٢- اعتقادهم بأن القرآن مخلوق.

(١٥) الشيرازي، ناصر، (٤٧٧/١٥-٤٨٠).

٣- إنكارهم رؤية الله يوم القيامة[١٦].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الرافضة خالفتْ أهل السنة والجماعة في منهجها، وعقيدتها، ومصادر تلقّيها، كما أن الرافضة يقسّمون التوحيد إلى أقسام مغايرة لما عليه أهل السنة والجماعة، فالشيرازي يقسّم التوحيد في تفسيره "الأمثل" إلى ثلاثة أقسام، وهي: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة، كما يقسّم توحيد العبادة إلى ستة أقسام، وهي: توحيد الخالقية، وتوحيد الربوبية، والتوحيد في التقنين والتشريع، والتوحيد في المالكية، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد الطاعة.

كما أن تقسيم التوحيد عند الشيرازي تضمن الإشارة إلى تقسيم أهل السنة والجماعة، فالشيرازي يُشير إلى توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، ولكن مع جملة من الانحرافات الفكرية والعقدية في مضامين تلك الإثباتات.

*** أقسام التوحيد عند الصوفية من خلال كتاب "البحر المديد"**

لجأت الصوفية إلى تقسيم التوحيد تقسيمًا مخالفًا لما عليه أهل السنة والجماعة، فكان الانحراف واضحًا؛ وذلك بناءً على عقيدتهم، وفِكرهم، وهذا المبحث يتناول الحديث عن تعريف الصوفية، ومجمل عقائدهم، ومصادرهم في التلقّي، وتقسيم التوحيد كما في تفسير "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد".

*** التعريف بالصوفية**

التصوُّف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، كنـــزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد، وشدة العبادة؛ تعبيرًا عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطوّرت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقًا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها؛ بُغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية؛ ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية، والفارسية، واليونانية المختلفة، ويُلاحظ أن هناك فروقًا جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة[١٧].

ولفظ التَّصوف والصوفية لم يكن معروفًا في بداية الإسلام؛ بل هو مُحدث من أمم أخرى، يقول ابن تيمية: "إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتُهر التكلّم به بعد ذلك، وقد نُقل التكلّم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ"[١٨].

والمطّلع على الحركة الصوفية يجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم في القرن الثالث والرابع الهجريين كانوا من الفرس، ولم يكن فيهم عربي قطّ، وعند مقابلة الدين الصوفي سنجد أن التّصوف هو الوجه الآخر للتشيع، وأن أهداف التّصوف والتشيع كانت واحدة تقريبًا في السياسة والدين، والمهم هنا هو التذكير بأن التّصوف بلغ غايته وذروته من

(١٦) انظر: الحربي، ممدوح، موسوعة فرق الشيعة، ضمن سلسلة أشرطة مفرغة بواسطة شبكة الدفاع عن السنة محرم ١٤٢٦هـ، وانظر: القفاري، ناصر، (٤٢٤/٢-٥٦٧).

(١٧) انظر: الجهني، مانع بن حماد، (إشراف وتخطيط ومراجعة)، (٢٤٩/١).
(١٨) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (٥/١١).

حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث، حيث استطاع الحلّاج[١٩] أن يُظهر معتقده على الملأ؛ ولذلك أفتى علماء العصر بكفره وقتله، فقُتل سنة٣٠٩ه، وصُلب على جسر بغداد، وسُئل الصوفية الآخرون فلم يظهروا ما أظهر الحلاج[٢٠].

وتتابع ظهور الطرق الصوفية التي تفرعت من هذه الطرق، وفي القرون السادس والسابع والثامن بلغت الفتنة الصوفية أقصاها، وأُنشئت فرق خاصة بالدراويش، وظهر المجاذيب، وبُنيت القباب على القبور في كل ناحية، وذلك بقيام الدولة الفاطمية في مصر، وبسْط سيطرتها على أقاليم واسعة من العالم الإسلامي، وبنائها للمزارات والقبور المفتراة، كقبر الحسين بن علي { في مصر والسيدة زينب، وإقامتهم بعد ذلك الموالد والبدع والخرافات الكثيرة، وتأليههم في النهاية للحاكم بأمر الله الفاطمي[٢١]؛ لقد بدأت الدعوة الفاطمية بالمغرب لتكون بديلًا للحكم العباسي السُّني، واستطاعت هذه الدولة تجنيد هذه الفرق الصوفية، وغزْو العالم الإسلامي بهذه الجيوش الباطنية التي كان لها أعظم الأثر بعد ذلك في تمكين الجيوش الصليبية من أرض الإسلام، وأخيرًا عمّ الخطْب، وطمّ في القرون المتأخرة التاسع، والعاشر، والحادي عشر؛ إذ ظهرت آلاف الطرق الصوفية، وانتشرت العقيدة والشريعة الصوفية في الأمة، واستمرّ ذلك إلى عصر النهضة الإسلامية الحديثة[٢٢].

*** مجمل أصول الاعتقاد عند الصوفية**

قسّم الصوفية الدين إلى ظاهر وباطن، وشريعة وحقيقة، فالظاهر والشريعة علم عامة الناس ودينهم، ومنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والباطن والحقيقة علم الصوفية ودينهم[٢٣]، قال ابن الجوزي: "لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم، وبين ظان أن العلم هو ما يقع في النفوس من ثمرات التعبد، وسَمّوا ذلك العلم: العلم الباطن؛ نهوًّا عن التشاغل بالعلم الظاهر"[٢٤].

وقد ظهرتْ تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية، ومن أبرز المظاهر الشركيّة التي تُؤخذ على الصوفية: الغلوّ في الرسول صلى الله عليه وسلم، والاعتقاد بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، والغلوّ في الأولياء، والادّعاءات الكثيرة الكاذبة، كادّعائهم عدم انقطاع الوحي، وما لهم من المميزات في الدنيا والآخرة، وادّعاؤهم الانشغال بذِكر الله عن التعاون لتحكيم شرع الله والجهاد في سبيله، مع ما كان لقلّةٍ منهم من مواقف طيّبة ضد الاستعمار، كما أن كثيرًا ما يتساهل بعض

(١٩) هو: أبو مغيث، الحسين بن منصور الحلّاج، فيلسوف هو من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، يتعاطى مذاهب الصوفية، ويعتقد بالحلول، يعده بعض الناس ملحدًا، وصل أمره إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، وعُذب، وادّعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدوّ له، من تصانيفه: علم البقاء والفناء، والكبريت الأحمر، توفي عام ٣٠٩هـ. انظر: ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (١٣١/٣)، دار صادر، بيروت.

(٢٠) انظر: اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، (ص: ٣٤)، ط(٣)١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

(٢١) هو: أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦هـ، وكان عمره آنذاك أحد عشر عامًا، واستقل به سنة ٣٩٠هـ، توفي سنة ٤١١هـ. انظر: ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، (٥/ ٢٩٢).

(٢٢) انظر: اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، (ص: ٣٥)

(٢٣) انظر: الغامدي، محمد بن عبد الله زربان، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، (ص: ٤١)، ط(١)١٤٣٢هـ-٢٠٠٣م، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٢٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، تلبيس إبليس، (ص: ٣٢٨)، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحسوبين على التصوف في التزام أحكام الشرع، ومن تجاوزاتهم: طاعة المشايخ والخضوع لهم، والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم، والتمسّح بأضرحتهم بعد مماتهم، ومنها: في هيئة ما يسمونه الذِّكر، وهو هزّ البدن والتمايل يمينًا وشمالًا، وذِكر كلمة "الله" في كل مرة مجرَّدة، والادّعاء بأن المشايخ مكشوفٌ عن بصيرتهم، ويتوسّلون بهم لقضاء حوائجهم، ودعاؤهم بمقامهم عند الله في حياتهم وبعد مماتهم[٢٥].

*** مصادر التلقي عند الصوفية**

تُعد فرقة الصوفية هي أم البدع، لقد استقرّ أمْرها إلى أن صارتْ كدِين جديد له قواعده المختلفة عن دين الإسلام، كما أن له مصادر تلقي خاصة به غير مصادر التلقّي العامة عند المسلمين[٢٦]، ومن ذلك: أنهم قدّموا العقل، كما قدّموا ما يسمونه "الكشف" ونحوه على كلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم [٢٧]، ويُعرَّف الكشف بأنه "الاطّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقة وجودًا وشهودًا"[٢٨].

ويعتقد الصوفية أن الكشْف هو الحق واليقين المطابق للصواب، بينما النص — من الكتاب أو السنة الظاهر — قد يُرد عليه ما يجعله بخلاف الحق واليقين، فقدّموا الكشْف على النص، شأْنهم في ذلك شأن مَن قدّم العقل على النقل من المتكلمين كالمعتزلة وأمثالهم في العصر الحديث، أو قدّم قول مَن يظنه من الأئمة المعصومين من الرافضة على قول رب العالمين والأنبياء والمرسلين؛ ومن أجل ذلك فرّق الصوفية بين علم المكاشفة وعلم المعاملة، فعِلم المعاملة ما استند إلى العقل وأنظاره واستدلالاته، والعلوم التي تعتمد على التجربة والحس، والصوفية لا يعتمدون على شيء من ذلك في تحصيل علومهم، فالقلب هو أداة معرفتهم، حيث يأخذون أنفسهم بتطهيره من الشوائب والأدران؛ لتنكشف لهم الحجب؛ ويصبحون قادرين على إدراك الحقائق، أضِف إلى ذلك أن الكشف عند الصوفية أرقى مناهج المعرفة وأعلى درجات اليقين، فازدروا لذلك العلوم الاستدلالية جميعها، وعزفوا عن العلم وطلب الحديث وكتابته[٢٩]، يقول أبو سليمان الداراني[٣٠]: "إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا"[٣١].

*** تقسيم التوحيد في تفسير "البحر المديد"**

تبنّى الصوفية من التوحيد مواقف مخالفة، ومضادة لما جاء في الكتاب والسنة عن توحيد الله –سبحانه وتعالى– ويتلخص هذا في أن الصوفية يعتقدون بأنه لا يجوز التعبير عن التوحيد، ومَن عبّر عنه فقد كفر وألحد؛ لأنه شيء غامض، غير متصوّر، كما يعتقدون بأن التوحيد الذي جاء في الكتاب والسنة ليس بتوحيد صحيح؛ بل هو عيْن التعدد والشرك، وأن الموحِّد الصحيح هو الذي يصل إلى مرحلة حلول الله تعالى

(٢٥) انظر: الجهني، مانع بن حماد، (إشراف وتخطيط ومراجعة)، (١/ ٢٦٨).
(٢٦) انظر: متولي، تامر، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، (ص: ٥٥٥-٥٥٦)، ط(١)١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر: دار ماجد عسيري.
(٢٧) الخلف، سعود، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، (١/ ٢٧)، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ.
(٢٨) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ص:١٨٤)، ط(١)١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٩) انظر: الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (١/٣-٤)، دار المعرفة، بيروت.
(٣٠) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، من أهل داريّا بغوطة دمشق، كان زاهدًا ومن كبار المتصوفين، توفي في بلده عام ٢١٥هـ. انظر: ابن خلِّكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، (٣/ ١٣١).
(٣١) أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق:عاصم الكيالي، (١/ ٢٣٤)، ط(٢)١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

فيه، وهم يقولون بأن هذا التوحيد الذي أَرسل الله به الرسل، وأَنزل الكتب من أجله إنما هو توحيد خاص بالعوام فقط، أما الخواص، وخواص الخواص فتوحيدهم غير هذا تمامًا، حيث إن الوقوف عند التوحيد الذي جاء في الكتاب والسنة يُعد عندهم شركًا، ونفهم من ذلك: أن الصوفية يقفون من التوحيد الذي أمر الله به موقفًا معاديًّا، وذهبوا إلى ابتداع عقائد إلحادية، وسَموها: التوحيد الحقيقي الذي ينبغي أن يصل إليه الإنسان(32).

وفي ضوء ذلك، قسّم الصوفية التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وأقرّوها في تفاسيرهم، حيث يقول ابن عَجيبة(٣٣) في تفسير قوله تعالى: [وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ] {البقرة:١٦٣}: "واعلم أن توحيد خلق الله تعالى على ثلاثة درجات: –

الأولى: توحيد العامة: وهو الذي يعصِمُ النفس والمال ، وينجو به من الخلود في النار، وهو نَفْيُ الشركاء والأنداد، والصاحبةِ والأولاد، والأشباه والأضداد.

الثانية: توحيد الخاصة: وهو أن يَرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق الكشف لا بطريق الاستدلال، فإنّ ذلك حاصل لكل مؤمن، وإنما مَقامُ الخاصة يقينٌ في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، فلا يرجوا الله، ولا يخاف أحدًا سواه، إذ ليس يَرى فاعلاً إلا الله، فيطْرحُ الأسباب، وينبذ الأرباب.

الدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله (توحيد خاصة الخاصة): ولا يشهد معه سواه، فيغيبَ عن النظر إلى الأكوان في شهود المُكَون، وهذا مقام الفناء، فإن رُدّ إلى شهود الأثر بالله سُمي مقام البقاء"(٣٤).

وقد وردت إشارات لهذه الأقسام في تفاسيرهم، فعند تفسير قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] {البقرة:٢١} يفرِّق ابن عَجيبة بين عبادة العارفين وتوحيدهم، وبين عبادة الغافلين وتوحيدهم، فيقول: " توجَّه الخطاب إلى العارفين الكاملين في الإنسانية الذي يعبدون الله تعظيمًا لحق الربوبية، وقيامًا بوظائف العبودية...فعبادة العارفين: بالله، ومن الله، وإلى الله، وعبادة الجاهلين: بأنفسهم ومن أنفسهم ولأنفسهم، عبادة العارفين حمد وشكر، وعبادة الغافلين اقتضاء حظ وأجر، عبادة العارفين قلبية باطنية، وعبادة الغافلين حسية ظاهرية، يا أيها الناس المخصوصون بالأُنس والقُرب دُوموا على عبادة القريب، ومشاهدة الحبيب، فقد رَفَعْتُ بيني وبينكم الحجب والأستار، وأشهدْتكم عجائب الألطاف والأسرار، أبرزْتكم إلى الوجود، وأدخلْتكم من باب الكرم والجود، ومنحْتكم

(32) انظر: إدريس، محمود إدريس، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، (٢١٣/١)، ط(٢) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، مكتبة الرشد ناشرون، شركة الرياض للنشر والتوزيع، السعودية.

(٣٣) هو: أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي، من أهل المغرب، من مؤلفاته: شرح القصيدة المنفرجة، شرح صلوات ابن مشيش، توفي عام ١٢٢٤هـ. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، (٢٤٥/١)، ط(١٥)٢٠٠٢م، الناشر: دار العلم للملايين.

(٣٤) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، (١٩٢/١)، ط١٤١٩هـ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

بفضلي غاية الشهود، لعلكم تتقون الإنكار والجحود، وتعرفونني في كل شاهد ومشهود"[٣٥].

ويرى حَقي[٣٦] أنها تضمنت الإشارة إلى توحيد خاصة الخاصة، فيقول: "الآية مسوقة لإثبات التوحيد؛ وتحقيق نبوة محمد –عليه الصلاة والسلام– اللذين هما أصل الإيمان... وفيها تنبيه على أن التقوى منتهى درجة السالكين، وهو التبرِّي من كل شيء سوى الله تعالى"[٣٧].

ولذلك انبرى علماء الإسلام– قديمًا وحديثًا– لبيان ضلال هذا التقسيم، والرد عليه، وبيان ما فيه من توهيمات، وتلبيس على الناس، وما تشتمل عليه من مآلات كفرية واضحة، فقد ذكر شيخ الإسلام هذه الأقسام، وفنَّدها، وبيَّن ضلالها وانحرافها[٣٨]، وقد علّق شارح الطحاوية على هذا التقسيم بقوله: "وإذا عُرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أُرسلت به الرسل وأُنزلت به الكتب، فلا يُلتفت إلى قول من قسّم التوحيد إلَى ثلاثة أنواع، وجَعل هذا النوع توحيد العامة، والنوع الثاني: توحيد الخاصة، وهو الذي يَثبُت بالحقائق، والنوع الثالث: توحيد قائم بالقِدم، وهو توحيد خاصة الخاصة، فإنّ أكمل الناس توحيداً الأَنبيَاء – صلوات الله عليهم–، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله وسلم عليهم أجمعين"[٣٩].

ويتبيّن مما سبق أن الصوفية لهم انحرافات فكرية وعقدية عديدة، في عقيدتهم، وفِكرهم، ومنهجهم، ومصادرهم في التلقّي، وقد انعكستْ هذه الانحرافات على تقسيم التوحيد، فكان التقسيم إلى توحيد العامة، والخاصة، وخاصة الخاصة، وهو تقسيم يُخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، الذين أشاروا صراحة إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

*** الخاتمة**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والحمد لله الذي يسر لي هذا البحث، الذي أسأله أن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد، فأظهرت الدراسة جملة من النتائج، وتمخّض عنها جملة من التوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولًا: النتائج

أولًا: إن الشيعة الرافضة طائفة تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة، بمن فيهم الشيخان}، وتعد الإمامة ركنًا من أركان الدين، بنص النبي ﷺ، ويعتقدون أن الأنبياء والأئمة معصومون، كما يعتقدون بالبداء، والرجعة، والغيبة، والتقية، وهم جهمية في نفي الصفات، وقدرية في نفي القدر،

(٣٥) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، (٨٦/١-٨٧).
(٣٦) هو: إسماعيل حَقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي مستعرب، له كتب عربية وتركية، فمن العربية: الرسالة الخليلية، والفروقات، والأربعون حديثًا، توفي عام ١١٢٧هـ. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، (٣١٣/١).
(٣٧) حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، (٧٤/١)، دار الفكر، بيروت.

(٣٨) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (٣٤٣/٥)، ط(١)١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
(٣٩) ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، شرح الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، (١/ ٥٣)، ط(١٠) ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت. وانظر: إدريس، محمود إدريس، (٢٢٨/١-٢٣٦).

ومرجئة في قولهم بأن الإيمان معرفة الإمام وحبه، ووعيديه بالنسبة لغيرهم، حيث يكفرون ما عدا طائفتهم.

ثانيًا: إن مصادر التشريع عند الرافضة ليست هي التي عند أهل السنة، وأما القرآن فيعتقدون أنه ناقص ومحرّف، وأما الأحاديث فإنهم لا يعترفون بأصحّها عند أهل السنة، وأما الإجماع فإنه لا عبرة به عندهم، إلا إن وجد فيه معصوم، فمدار الحجية عندهم على المعصوم لا على الإجماع، وأما القياس فغير قائلين به

ثالثًا: يقسّم الرافضة التوحيد إلى أقسام مغايرة لما عليه أهل السنة، فالشيرازي يقسّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة، كما يقسّم توحيد العبادة إلى ستة أقسام، وهي: توحيد الخالقية، وتوحيد الربوبية، والتوحيد في التقنين والتشريع، والتوحيد في المالكية، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد الطاعة، كما أن تقسيم التوحيد عند الشيرازي تضمن الإشارة إلى تقسيم أهل السنة والجماعة، فالشيرازي يُشير إلى توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، ولكن مع جملة من الانحرافات الفكرية والعقدية في مضامين تلك الإثباتات.

رابعًا: إن التصوُّف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، كنـــزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد، وشدة العبادة، ثم تطوّرت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقًا عديدة، وذلك في القرون السادس والسابع والثامن، وتداخلت طرقهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية، والفارسية، واليونانية المختلفة، وقد قسّموا الدين إلى ظاهر وباطن وشريعة وحقيقة، فالظاهر والشريعة علم عامة الناس ودينهم، ومنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والباطن والحقيقة علم الصوفية ودينهم، وقد ظهرت تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية، ومن أبرز المظاهر الشركية التي تؤخذ على الصوفية: الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم، والاعتقاد بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، الغلو في الأولياء، والادّعاءات الكثيرة الكاذبة.

خامسًا: تُعد فرقة الصوفية هي أم البدع، لقد استقرّ أمرها إلى أن صارت كدِين جديد له قواعده المختلفة عن دين الإسلام، كما أن له مصادر تلقي خاصة به غير مصادر التلقي العامة عند المسلمين، ومن ذلك: أنهم قدّموا العقل، وهؤلاء لا يقيمون للعقل وزنًا، وإنما مصدرهم فيما ابتدعوه تقديمهم لما يسمونه الكشف ونحوه على كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ويعتقدون أن الكشف هو الحق واليقين المطابق للصواب، بينما النص — من الكتاب أو السنة الظاهر — قد يُرد عليه ما يجعله بخلاف الحق واليقين، فقدموا الكشف على النص.

سادسًا: تبنّى الصوفية من التوحيد مواقف مخالفة، ومضادة لما جاء في الكتاب والسنة عن توحيد الله -سبحانه وتعالى-؛ وبناءً على ذلك، قسّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وأقرُّوها في تفاسيرهم، حيث نصّ ابن عَجيبة على أن التوحيد ينقسم إلى توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة، وهو تقسيم يُخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، الذين أشاروا صراحة إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته؛ ولذلك انبرى علماء الإسلام- قديمًا وحديثًا- لبيان ضلال هذا التقسيم، والرد عليه.

ثانيًا: التوصيات

أولًا: أُوصي العلماء والباحثين بوجوب العناية بالجانب العملي للعقيدة، والتركيز على ربط تلك الأقسام بالجوانب الفكرية والعملية عند الناس.

ثانيًا: أُوصي الباحثين والوعاظ بضرورة العناية بتفسير القرآن الكريم، ولا سيما تلك التي تتبنّى منهج أهل السنة والجماعة في عرض العقيدة وقضاياها.

ثالثًا: أُوصي المؤسسات الأكاديمية بمحاربة تيارات الانحراف في كل زمان، وذلك بالكتابة والبيان والتعليم والإرشاد.

*** المراجع**

ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، شرح الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، (١/ ٥٣)، ط(١٠) ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، تلبيس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط(١)١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، ط١٤١٩هـ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم الكيالي، ط(٢)١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

إدريس، إدريس محمود، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، ط (٢) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، مكتبة الرشد ناشرون، شركة الرياض للنشر والتوزيع، السعودية.

الإدريسي، حامد مسوحلي، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية، ط(١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الناشر: مكتبة الرضوان، مصر.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

الألوسي، محمود شكري، صب العذاب على من سب الأصحاب، دراسة وتحقيق: عبد الله البخاري، ط(١)١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الناشر: أضواء السلف، الرياض.

البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط(١)١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجهني، مانع بن حماد، (إشراف وتخطيط ومراجعة)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط(٤) ١٤٢٠هـ، نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

الحربي، ممدوح، موسوعة فرق الشيعة، ضمن سلسلة أشرطة مفرغة بواسطة شبكة الدفاع عن السنة محرم ١٤٢٦هـ.

حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار الفكر، بيروت.

الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (٤/ ٣٩٧)، ط(٢)١٩٩٥م، الناشر: دار صادر، بيروت.

الخلف، سعود، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط(٣)١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، (٢٤٥/١)، ط(١٥)٢٠٠٢م، الناشر: دار العلم للملايين.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط(١)١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

عواجي، غالب، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط(٤) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة.

الغامدي، محمد بن عبد الله زربان، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، ط(١)١٤٣٢هـ-٢٠٠٣م، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

القفاري، ناصر، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، ط(١)١٤١٤هـ.

متولي، تامر، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، ط(١)١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر: دار ماجد عسيري.

اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط(٣)١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مكتبة ابن تيمية، الكويت.
موقع ويكيبيديا https://n9.cl/weza4.